

استراتيجية الاختزال اللغوي في شعر رواد الشعر الحر دراسة تحليلية

الباحثة. منى مطلق جمعة

الجامعة المستنصرية / كلية التربية

Mtlqmny88@gmail.com

أ.د. خالد عبود حمودي

جامعة بغداد / كلية العلوم الإسلامية

khalid.a.h@ihcoedu.uobaghdad.edu.iq

الملخص

يتناول هذا البحث مفهوم "الاختزال اللغوي" كاستراتيجية لتحليل النصوص الشعرية لرواد الشعر الحر في ضوء الدراسات اللغوية واللسانية الحديثة. يركز البحث على وسائل الاختزال اللغوي المختلفة، بما في ذلك الوسائل الدلالية، التداولية، والنحوية، وكيفية تحقيق التماسك النصي والانسجام بين عناصر القصيدة الواحدة. كما يناقش البحث تطبيقات الاختزال في ديوان بدر شاكر السياب، ونازك الملائكة، وعبد الوهاب البياتي، ويبرز أهمية الاختزال اللغوي في تعزيز الفهم والتواصل بين الكاتب والقارئ. يسلط الضوء على دور الاختزال اللغوي في بناء النصوص بشكل منطقي ومتناسك، مما يساهم في تحقيق أهداف الأغراض الشعرية المتعددة. الكلمات المفتاحية: (الاختزال اللغوي، الأسباب، الاختزال اللغوي في شعر الرواد).

The Strategy of Linguistic Abbreviation in the Poetry of Pioneers of Free Verse

An Analytical Study

Researcher: Mona Mutlaq Juma

Al-Mustansiriya University, College of Education

Mtlqmny88@gmail.com

Prof. Dr. Khaled Abboud Hamoudi

University of Baghdad, College of Islamic Sciences

khalid.a.h@ihcoedu.uobaghdad.edu.iq

Abstract:

This research explores the concept of "linguistic reduction" as a strategy for analyzing the poetic texts of the pioneers of free verse poetry, in light of modern linguistic and linguistic studies. The study focuses on the various means of linguistic reduction, including semantic, pragmatic, and syntactic methods, and how these contribute to achieving textual cohesion and harmony among the elements of a single poem. The research also discusses the applications of reduction in the works of Badr Shakir al-Sayyab, Nazik al-Malaika, and Abdul Wahab al-Bayati, highlighting the importance of linguistic reduction in enhancing understanding and communication between the writer and the reader. Furthermore, it sheds light on the role of linguistic reduction in constructing logically coherent and cohesive texts, thereby contributing to the fulfillment of diverse poetic purposes.

Keywords: (Linguistic reduction, causes, linguistic reduction in the poetry of the pioneers.)

الاختزال اللغوي:

تتمتع اللغة العربية بثناءٍ عَزَّ نظيره في معظم لغات العالم، وليس أدل على ذلك من استقصاء أبنية الكلام، وحصر تراكيب اللغة، وهو ما توصل إليه شيخ النحاة سيبويه الذي قرر أنَّ الإعراب قام على أساس العمل النحوي، وأنَّ للمفردة اللغوية قوة تأثير في التركيب اللغوي، وهذه القوة تمنحها السلطة في اظهار الأثر الإعرابي الظاهر والمقدر في الكلمة المجاورة لها في التركيب، قال سيبويه: إنَّ "الفعل يجري في الأسماء على ثلاثة مجارٍ: فعل مُظَهَّر لا يحسن إضماره، وفعل مُضمر مستعمل إظهاره، وفعل مضمر متروك إظهاره"^(١).

وذكر الزبيدي أنّ سيبويه هو أول من طرق مصطلح الاختزال^(٢) إذ قال: "وإنّما اختزل الفعل ههنا لأنّهم جعلوه بدلاً من اللفظ بالفعل"^(٣)، وقال أيضاً: " فلذلك اختزلوا الفعل هنا، كما اختزلوه في قولهم: الحذر"^(٤).

والاختزال في المعاجم العربية معناه الاقتطاع^(٥) " يُقال: خَزَلْتُه فَاخْزَلْتُ، أي: قَطَعْتُهُ فَأَنْقَطَعَ... وَيُقَال: اخْزَلَ العامل المال الَّذِي جَبَاهُ، إِذَا اقْتَطَعَهُ"^(٦)، ومن ثمّ أصبح فيما بعد من المصطلحات التي يرددها علماء اللُّغة بمعنى الحذف^(٧)، قال الزركشي: الاختزال وهو الافتعال من خَزَلَه قطع وسطه ثم نُقل في الاصطلاح إلى حذف كلمة أو أكثر^(٨).

ويمكن القول: إنّ الاختزال يراد به الإيجاز والتسهيل لتقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى، فالمعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظ كثيرة، ويمكن أن يعبر عنه بألفاظ قليلة، فالألفاظ القليلة إيجاز، بشرط أن تكون الألفاظ دالة على معنى من غير أن تزيد على ذلك المعنى^(٩).

تشيع ظاهرة الاختزال في اللغة العربية؛ طلباً للتخفيف على ذهن المتلقي، وابتعاداً عن التكلف في النطق، من دون إغفال نظرته في تعيين الساقط من التركيب وإلا عُدَّ كلامه عبثاً وخروجاً عن النظام اللغوي المتعارف فيه، الذي يقتضي من المتكلم أن يرعي قوانين البنى النظرية المجردة لنظام الجملة، التي تتيح له حذف بعض من جوانبها، في عملية تقوم على وفق (مبدأ التعاون) بين المخاطب والمخاطب، بحسب إدراكه ما حذف من الجملة، بوصفه يمتلك جهاز مراقبة وتوقع يعينه على ذلك، مستفيداً من الدلالة السياقية للحدث القولي، والوظيفة الإعرابية للبنية الناقصة في التركيب قياساً إلى التركيب التام، المحفوظ في ذهنه على وفق النظام اللغوي، فتكتمل مكونات الجمل في تسوية بين المنجز مع المعيار^(١٠).

أسباب الإختزال اللغوي

إنّ لكل ظاهرة في العربية أسباباً وعللاً تبين الأمور التي تدعو المتكلم إلى استعمالها ولا يشذ مفهوم الاختزال عن ذلك، ومن أبرز أسباب العرب هذه الظاهرة تتلخص في الآتي^(١١):

١. كثرة الاستعمال فكما كان الكلام متداولاً معروفاً أدى إلى حذف أجزاء منه ومن ذلك حذف خبر (لا) النافية للجنس أو استعمال صيغة الاستفهام بالاستعانة بـ(من) الزائدة.

٢. طول الكلام؛ لأنّ التراكيب إذا طالت كلماتها وحروفها أصبحت ثقيلة فيكون الاختزال تخفيفاً لذلك الثقل، "كجملّة الصلة التي طالت، حيث يجوز حذف صدرها إذا طالت بعد الاسماء الموصولة".

٣. الضرورة الشعرية ويمثله حذف أي جزء من الكلام.

٤. الاحتراز عن العبث نحو قولهم: الهلال والله، فحذف المبتدأ بقرينة الحال ولو كان مذكوراً لكان عبثاً.

٥. التخفيف، ومنه حذف حرف النداء، كقوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [يوسف: ٢٩].

٦. التعظيم، نحو قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]

٧. الخوف من الفاعل أو الخوف عليه، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣].

الاختزال اللغوي في شعر الرواد

أولاً: بدر شاكر السياب

قال السياب^(١٢):

فاشتكى صاحب القطيع من الموج لـذئب رآه أو جزار

واشتكى الحاصد المعنى إلى الشيخ فما كان منه غير أزورار

استطاع السياب بهذين البيتين أن يجسد أهم الأمراض الاجتماعية التي كانت تتخر عظام المجتمع العراقي، قضية مجتمعية في غاية الأهمية هي: الفلاح والاقطاع، التي كانت من أبرز أسباب تخلف العراق لعقود من الزمن، فلم يعانِ أو يقاسِ شعب على وجه المعمورة من مرارة الاقطاع ما قاساه وعاناه الشعب العراقي، فكانت قلة من شيوخ القبائل والتجار تعيش مترفة متخمة في قصورها في حين أنّ السواد الأعظم من الشعب يعيش تحت وطأة الخوف والجوع في أكواخ وقبور مظلمة^(١٣).

وهنا نلاحظ كيف دبّ اليأس في نفوس الفلاحين فقضى على كل أمل وعلى كل رجاء يربطه بالأرض والحياة، فعندما حاول هذا البائس الفقير المضطهد أن يشكو سيده، لكن بلا جدوى فلم يجد لديه أذن صاغية بل فكان كالشاة تشكو لجزارها، فالجلاد لا يرحم والاقطاعي لا يحس ولا يتألم.

ولعل من قصائده الرائعة في محاربة الاقطاع واستغلال وفساد السلطة الحاكمة آنذاك ما نجده في قصيدته (أنشودة المطر) التي اختزل فيها الصراع بين الخير الذي رمز له بـ(مطر)، والشر الذي رمز له بـ(الغربان والجراد) "وليس شيء في الأرض يتشاءم به إلا والغراب أشأم منه"^(١٤)، فالعراق أرض الخير حيث الخصب والنماء والعطاء أرض السواد، لكن خيراته وثرواته تذهب إلى سراب الجراد (السلطة) التي تمتص الأخضر واليابس، والغربان السواد من شيوخ الاقطاع الذين لم يتركوا للفلاحين والشعب المغلوب على أمره سوى الدموع والجوع والخوف والمرض والحسرة، فقال السياب^(١٥):

وفي العراق جوع

وينثر الغلال فيه موسم الحصاد

لنتشبع الغربان والجراد

وتطحن الشّوان والحجر

رحى تدور في الحقول...حولها بشر

مطر...

مطر...

مطر...

وفي وسط هذا الجو الاجتماعي والاقتصادي المتدهور تحول المطر الذي هو رمز الخير والبركة إلى مصدر حزن للشاعر وصدى عذاب؛ لأنّه يذكره بجوع وفقر واستغلال أبناء وطنه، فالجوع والفقر ليس وليد القحط بل بسبب الاستعمار والاقطاع.

ثُمَّ فَتَحَ السِّيَابَ شَاعِرِيَّتَهُ الثَّوْرِيَّةَ عَلَى الْإِتِّجَاهِ السِّيَاسِيِّ الْوَطْنِيِّ مُحَاوَلًا الْكَشْفَ عَنْ جَرَائِمِ الْمُسْتَعْمَرِينَ فِي حَقِّ شَعْبِهِ، فَأَخَذَ يَحْذَرُ مِنْ وَعُودِهِمُ الْكَاذِبَةِ وَالْأَعْيَبِ الْوَاهِيَةِ، فَلَاهُمْ عِنْدَهُمْ وَحَلَفَائِهِمْ سِوَى امْتِصَاصِ خَيْرَاتِ الْعِرَاقِ، قَالَ السِّيَابُ فِي قَصِيدَةِ (الْمَخْبِرِ)^(١٦):

قَوْتِي وَقَوْتَ بَنِي لَحْمِ آدَمِي أَوْ عِظَامِ

فَلِيَحْقُدَنَّ عَلَيَّ كَالْحَمَمِ الْأَنَامِ

كَيْ لَا يَكُونُوا إِخْوَةً لِي آنَذَاكَ، وَلَا أَكُونُ

وَرِيثَ قَابِيلِ اللَّعِينِ سَيَسْأَلُونِ

عَنِ الْقَتْلِ فَلَا أَقُولُ:

"أَنَا الْمَوَكَّلُ، وَيَلَكُمْ بِأَخِي؟" فَإِنَّ الْمَخْبِرِينَ

بِالْآخِرِينَ مَوَكَّلُونَ!

وُظِّفَ السِّيَابُ قِصَّةَ (قَابِيلِ وَهَابِيلِ)^(١٧) فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ لَتَقْصَحَ عَنْ طُغْيَانِ وَظَلَمِ نَوْرِي سَعِيدٍ وَأَعْوَانِهِ فِي مَنَاصِفِ الْخَمْسِينَاتِ^(١٨)، فَصَوَّرَ الْخَوْفَ وَالْإِرْهَابَ وَدِمَاءَ الْأَبْرِيَاءِ الَّتِي سَأَلَتْ آنَذَاكَ بِاعْتِبَارِهَا اغْتِيَالَ لِلْإِنْسَانِيَّةِ كَمَا اغْتَالَ قَابِيلُ أَخِيهِ هَابِيلَ فِي أَوَّلِ جَرِيْمَةٍ شَهِدَتْهَا الْبَشَرِيَّةُ، لَمَّا فِيهَا مِنْ عَمَقٍ عَلَى تَصْوِيرِ الْجَرِيْمَةِ الَّتِي يَرْتَكِبُهَا الْإِنْسَانُ فِي حَقِّ أَخِيهِ الْإِنْسَانِ.

وَمِنْ عِبَارَاتِ الْإِخْتِرَالِ اللَّغَوِيِّ الَّتِي اسْتَعْمَلَهَا السِّيَابُ مَا قَالَهُ لِلْخَائِنِينَ عِيُونَ الْإِسْتِعْمَارِ:

لَا شَيْءَ غَيْرَ الرُّعْبِ وَالْقَلْقِ الْمَمْضِ عَلَى الْمَصِيرِ

سَاءَ الْمَصِيرُ!

رَبَاهُ إِنَّ الْمَوْتَ أَهْوَنَ مِنْ تَرْقُبِهِ الْمَرِيرِ

سَاءَ الْمَصِيرُ:

لَمْ كُنْتُ أَحَقَّرَ مَا يَكُونُ عَلَيْهِ إِنْسَانٌ حَقِيرٌ؟!^(١٩)

فَعِبَارَةٌ (سَاءَ الْمَصِيرُ) اسْتَعْمَلَتْ وَتَرَدَّدَتْ كَثِيرًا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ

الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ

﴿١١٥﴾ [النساء: ١١٥]، وقال: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِي النَّارِ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ﴾ [النور: ٥٧] "فهي عبارة تستعمل داخل القول الحجاجي؛ للإقناع بما تقدمه من تصورات للأشياء والأحداث، وما تتضمنه من مشابهة يستدعيها سياق القول الحجاجي نظراً لما تحدثه هذه البنيات من تماثلات عامة، بينها وبين الأهداف من إدراجها وسوقها، وهي بذلك تدخل في إطار التمثيل الحجاجي المستخدم في القياس الحجاجي الاضماري، شريطة أن يكون توظيفها في الحجاج حسب الخصائص المميزة لها، على وفق الضرورة السياقية أو المقامية" (٢٠).

ثانياً: عبد الوهاب البياتي

من أبرز مقاصد الاختزال هو الاستعمال الصحيح الذي لا بدّ أن يعترف بأنّ اللغة ظاهرة اجتماعية ذات سياق مجتمعي، فيجب أن تدرس دراسة علمية وصفية (٢١)، وليس أدل على ذلك من التمثيل الافتراضي الذي اعتمده سيوييه على لسان الغائب والحاضر والمنتكلم في الكتاب، إذ يتضمن قاعدة من قواعد التحويل للنظرية التوليدية التحويلية (٢٢)، وهي قاعدة الحذف التي ترتبط بالبنية العميقة (deep structure) للجمل، على أساس أنّ الجانب التأويلي يربط بين العنصر النحوي المجرد وبين أصوات اللغة ودلالاتها، والبنية السطحية تأتي عن طريق التأويل كما تأتي عن طريق قواعد التحويل، بواسطة العناصر الدلالية التي تؤل الأساس (٢٣)، "ذلك أنّ الحذف يعني أداء الجملة من المعنى ما تؤديه قبل الحذف وقد يكون الحذف أولى وأنس من النطق به" (٢٤).

وهذا مبدأ أقرته الدراسات الحديثة إذ يدخل في صميم المعاني التداولية نظراً إلى اعتماده على تأويل المقام واستحضار معطيات السياق التخاطبي لتحليل ظاهرة الحذف - مثلاً - تحليلاً تداولياً يستوعب معطيات المقام وخاصة حال المتكلم (٢٥).

فيثير الحذف تساؤلات عدة في ذهن المتلقي، تشبعه دلالات مختلفة، من صوره ما ورد قصيدة (فسوق القرية) لعبد الوهاب البياتي، فالعنوان ذاته قائم على الحذف ففسوق قرية:

متبدأ خبره محذوف؛ لأنَّ الشاعر على دراية تامة من "أَنَّ إظهار هذا المحذوف يذهب بثرء الدلالة وخصوبتها"^(٢٦).

فهذا الأسلوب يصب اهتمام المتلقي على الموجود من من الجملة، فالشعر هنا أداة من أدوات السرد، ومن هنا جاء عنوان القصيدة (سوق القرية)؛ ليعبر عن العلاقة بين الشعر والقص، لأنَّ "العنوان هو هوية صاحبه، وأتة حلقة الوصل التي تعمل على توجيه المتلقي... أنَّ العنوان أصبح في العصر الحديث والمعاصر يحتل مركز الصادرة في الإبداعات الأدبية، وأصبح ظاهرة فنية وثقافية تتوفر على استراتيجية بنوية مكثفة، بما يثيره من وظائف جمالية"^(٢٧).

قال عبد الوهاب البياتي^(٢٨):

سوق القرية
الشمس، والحرُّ الهزيلة، والذباب
وحذاء جندي قديم

يتداول الأيدي، وفلاحٌ يحدق في الفراغ:

كشفت لنا القصيدة كيف استطاع عبد الوهاب البياتي بهذا الأسلوب أن يرسم الصورة الحقيقية للمجتمع العراقي وما يلاقيه من ظلم وجور وفقر وجهل ومرض، فقد كان المجتمع شغله الشاغل، وباحترافية عالية جسّد في هذا المشهد السوق في وسط النهار، حيث الشمس الحارقة، والناس البائسة التي شببها بـ(الحر الهزيلة) - مبتدأ خبره محذوف - التي لا ينتفع منها، والذباب - مبتدأ خبره محذوف - المنتشر في الأسواق دليل على تفشي الأمراض في هذا المجتمع، وأنَّ المرض يعيش مع المجتمع من دون حماية أو معالجة^(٢٩).

ومن أنماط الاختزال اللغوي، المسكوك اللغوي (الأمثال)، والمسكوك هو اصطلاح أو تركيب لغوي متفق عليه عند أبناء اللغة، يعبر عن معنى أو فكرة معينة، وهو قول ثابت من كلمة أو أكثر ومعناه لا يكون واضحاً؛ وذلك لتغيير دلالات ألفاظه إلى معنى جديد يختلف عما كانت تدل عليه في الأصل حين انفرادها، لتنتقل بعد ذلك إلى دلالات عرفية اجتماعية^(٣٠).

وأصل المثل هو "النَّمَاثِلُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ فِي الْكَلَامِ كَقَوْلِهِمْ: (كما تدين تدان) وهو من قولك: هذا مثل الشيء ومثله كما تقول: شبهه وشبهه ثمَّ جعل كل حكمة سائرة مثل، وقد يأتي القائل بما يحسن أن يتمثل به إلا أنه لا يتفق أن يسير فلا يكون مثلاً" (٣١).

وذكر السيوطي أن الغرض من الأمثال "تصور المعاني بصورة الأشخاص؛ لأنها أثبتت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس، ومن ثمَّ كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد" (٣٢).

ولا أزعج أنني احصي هنا الأمثال لاتي أوردها الرواد كلها في دواوينهم، غير أنني أوردت بعض الأمثلة المختارة لعبد الوهاب البياتي الذي قال في قصيد (سوق القرية) (٣٣):

وصياح ديك فرَّ من قفص، وقطيس صغير:

"ما حك جلدك مثل ظفرك"

و"الطريق إلى الجحيم من جنة الفردوس أقرب" والذباب...

كالخنفساء تدب: "قبرتي العزيزة" يا سدوم

لن يصلح العطار ما قد أفسد الدهر الغشوم

وبنادق سود ومحراث، ونار

تخبو، وحداد يراود جفنه الدامي النعاس:

"أبدأ، على أشكالها تقع الطيور"

أورد الشاعر عبارة "ما حك جلدك مثل ظفرك" وهي من أقوال الشافعي الذي أنشد قائلاً (٣٤):

ما حكَّ جلدك مثل ظفرك فتولَّ أنت جميع أمرك

وإذا قصدت حاجة فاقصد لمعترف بقدرك

وهو مثل يضرب في ترك الاتكال على الناس، فمن عتب على الدهر طال عتبه، وهو المحور التناسلي الذي يشكل تقنية تجعل اللغة الشعرية تنفتح على الخارج وتشكل مثاراً لاحتمالات عدة للقراءة، ويجعل اللغة الشعرية أكثر عمقاً وتكثيفاً إذ يحيلها إلى مرجعية خاصة تثير دهشة المتلقي لاكتشاف العلاقة القائمة بين النص الحاضر والغائب، وتقيس

العلاقات القائمة بين المرجع وانفصالها عنه وبين النص الحاضر وبناء النص الغائب فيه وقيام علاقاتها الجديدة فيه^(٣٥).

ويتكأ الشاعر كثيرًا على التراث في الأقوال والأمثال المرسلة، ليؤكد معنى اليأس والقنوط الذي يمتد إلى زمن المستقبل عبر قوله: "لن يصلح العطار ما قد أفسد الدهر الغشوم"، إنَّ العبارة في أصلها (لا يصلح) غير أنَّ الشاعر استيبدلها بالأداة (لن) "فهي لنفي المستقبل"^(٣٦)؛ ليؤكد أنَّ العطار لن يصلح ما هو خارب، وكأنني به يؤطر الزمن الماضي والحاضر والمستقبل برؤية معتمدة متشائمة تحرك مشاعر اليأس والقنوط حتى تصل إلى حالة القرف.

ثمَّ جاء بـ(أبدأ، على أشكالها تقع الطيور) وهذا مثل يعبر عن التوافق والتقارب بين الأشياء، فشبه الشيء منجذب إليه^(٣٧)، وهو معنى أكدّه الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) فقال: (الأرواحُ جنودٌ مُجنَّدةٌ، فما تعرَّفتَ مِنْها انتَلَفَ، وما تتأكَّرَ مِنْها اختَلَفَ)^(٣٨).

فأراد الشاعر أن يشير إلى معنى التشاكل في الخير والشر والصالح والفساد. فإن الخير من الناس يحنُّ إلى شكله، والشرير يميل إلى نظيره ومثله.

ثالثًا: نازك الملائكة

تعتمد نازك الملائكة وفي الكثير الغالب إلى ما يمكن أن يُسمى بالاختزال اللغوي النحوي، وهو ما يتعلق بالعلامات الإعرابية الأصلية والفرعية، وبعض المبنيات: كالضمائر، وإسماء الإشارة، وبعض ملامح الاختزال في علامات التانيث والتثنية والجمع.

الضمائر: الضمير "هو الموضوع لتعيين مُسمَّاه مشعرًا بتكلمه أو خطابه أو غَيْبَتِه"^(٣٩). ويصطلح عليه الكوفيون بالكنائية والمكنى^(٤٠)، وينقسم على ثلاثة: ضمير المتكلم، وضمير المخاطب، وضمير الغائب.

وعليه فكل ضمير يدل على اسم مكنى تحته، فمثلاً: الضمير (هو) يدل على مكنى مفرد غائب، و(أنتِ) يشير إلى مكنى مفردة مخاطبة، والمثنى يدل على مكنى مثنى، والجمع يدل على مكنى جمع، وبذلك يكون ذكر ضمير ضمن الكلام يعني اختزال الاسم المكنى عنه،

فبدل أن نقول على سبيل المثال: محمد وصل، ومحمد يخطب، ومحمد سيجلس، نقول: محمد وصل، وهو يخطب، وهو سيجلس.

قالت في قصيدة (لعنة الزمن)^(٤١):

طافية فوق الموجة ميتة والشاطيء في إشفاق

وصرخت: رفيقي! أين نسير؟

لنعد، فالجثة همس نذير

أرسلها عملاق شرير

إنذار أسي ودليل فراق

فأجاب رفيقي: "نحن هنا يحرسنا الحب فأبي فراق؟"

وغرقنا في صمتٍ برّاق

استطاعت الشاعرة في هذا المشهد أن ترسم لنا صورة لعشق من نوع آخر، عشق يعلوه صراخ، وشاهده جثة من عملاق شرير، وحب يغرق ساعة الولادة، فالضمير (نحن) اختزل لنا ثلاث شخوص: الشاعرة، ورفيقها، والسمة، يقول الدكتور محمد فتوح: إنّ تكوين "الملاح الأولى للرمز، فهو (جثة سمكة) قد لا تعني شيئاً، ولكنها بالنسبة للحبيبين الخائفين (إنذار أسي ودليل فراق) وكأنّها تثير في خيال الشاعرة صورة حبها وقد تحول إلى رفات أو جثة هامة كجثة هذه السمكة الشوهاء"^(٤٢).

ولا يقف الحال في الاختزال بالضمائر المنفصلة فقط، بل إنّ الضمائر المتصلة أيضاً لها مكانها الأكبر وحظها الأوفر في الاختزال اللغوي، وفي قصيدة (البحث عن السعادة) قالت^(٤٣):

سرت وحدي تحت النجوم طويلاً

أسأل الليل والديلاجير عنك

أسفاً لم أجدك في الشاطيء الصخ

ري حيث المياه تفتأ تبكي

وظفّت الشاعرة ضمير (الكاف) في (أجدك) وهو ضمير نصب متصل دال على المفعولية؛ لتختزل به المخاطبة صديقها التي جسدتها في صورة الشاطئ الحزين الذي تبكيه المياه كثيراً.

وفي قصيدة (عند العشاق) قالت^(٤٤):

إن قضت بالحرمان أيامهم عا

شوا حزني معذبين حيارى

استملت الضمير الظاهر (تاء التأنيث) الدال على الغائبة المفردة؛ للدلالة على حزنها العميق لفراق الأهل والأحباب، فكان الأقدار قد حكمت عليها وعلى أهلها بالشقاء الدائم.

التثنية والجمع:

إنّ فالمتأمل بهاتين الصيغتين يبدو جلياً له أسلوب الاختزال؛ لأنّ هاتين الصيغتين بذاتهما صيغة المفرد زیدت عليها ألف ونون، أو واو ونون، أو ياء ونون باختلاف أحوالهما رفعاً ونصباً وجرّاً؛ فالاسم المزیّد بهذه اللواحق يُظهر بوضوح عملية الوصول الى الغايات الكثيرة بالوسائل القليلة.

فالتثنية والجمع المستعملان بالحرف أصلهما العطف فالقول: جاء الرجلان، أي: جاء رجل ورجل، والقول: جاء الزيدون، أي: جاء زيد وزيد وزيد، فالعاطف والمعطوف في هذه المواضع محذوف وأقيمت حروف التثنية والجمع مقامهما اختزالاً؛ لأنّهم رأوا أنّ ذلك يطول في الكلام فاستغنوا عن تكرار الاسماء بالحروف. وسنذكر صيغة التثنية فقط

قالت في قصيدة (مأساة شاعر)

فهما في حياته نبع أحزا

نِ يردّ الحياة أفقاً كئيباً

وهما الثائران لا بدّ من صو

تهما وليكن دماً ولهيباً^(٤٥)

افصحت الشاعرة هنا عن سوداوية نظرتها للحياة التي لم تسلم فيها من تهمة الإنطوائية، وأنّها تعيش في برج عاجي بعيدة كل البعد عن القضايا الإنسانية والوطنية والقومية، وجاءت

هذه القصيدة لتعبر عن موقفها خير تعبير، فالثائران هما: "الفكر والقلب في ظلام الحياة"^(٤٦)، غير أنها تعيش في صراع بين المثالية والواقع المرير ورهبة الخوف من الموت. المبني للمجهول:

عرفت العرب قديماً صيغت المبني للمجهول أو ما يسمى بـ(ما لم يسم فاعله)^(٤٧)، فصاغوا لهذه الصيغة من ثلاثي الفعل الماضي بضم الأول وكسر ما قبل الآخر، ومن ثلاثي المضارع بضم الأول وفتح ما قبل الآخر، والصيغة معروفة في كتب النحو ليس المقام هنا للتفصيل^(٤٨).

إنَّ صيغة المبني للمجهول قائمة في أساسها على ظاهرة الاختزال؛ لأنَّه يُحذف الفاعل ويقوم المفعول مقامَ الفاعل المحذوف؛ وذلك للعلم به، أو الجهل به، أو لتعظيمه، أو لتحقيره؛ فينوب عنه فيما له من الرفع، ولزوم الفعل، ووجوب تأخير عنه^(٤٩). قالت الشاعرة في قصيدة (مأساة الأطفال)^(٥٠):

ودموع الأطفال تجرح لكن

ليس منها بدّ فيا للشقاء

هؤلاء الذين قد مُنحوا الحسّ

وما يملكون غير البكاء

الفعل (مُنحوا) فعل ماضٍ مبني للمجهول، ونائب الفاعل الضمير المتصل (الواو) الدال على الجماعة، فهي تصور أحببتها الذين يحسون بمعاناتها بأنَّهم لا يملكون شيئاً لمواساتها سوى البكاء. وبهذا يكون الاختزال اللغوي قد أكد حقيقة أنَّه لا يمكن الفصل في إطار اللسانيات الاجتماعية بين العوامل الداخلية والخارجية للغة؛ فكل واحدة منهما تكمل الأخرى.

النتائج

لقد استعرض البحث ظاهرة الاختزال اللغوي في اللغة العربية، وخلص إلى عدة نتائج رئيسية حول أسبابها وتجلياتها في الشعر العربي الحديث:

١. وظف السياب الاختزال لتصوير القضايا الاجتماعية والسياسية في العراق، مثل قضية الفلاح والإقطاع، واستخدم الاختزال في التعبير عن اليأس والخوف. كما استخدم عبارات قرآنية مثل "ساء المصير" كشكل من أشكال الاختزال الحجاجي.
٢. استخدم الاختزال في عناوين قصائده، مثل "سوق القرية"، لجذب اهتمام المتلقي وإثراء الدلالة. كما وظف الأمثال الشعبية (المسكوكات اللغوية) كشكل من أشكال الاختزال، مثل "ما حك جلدك مثل ظفرك" و"لن يصلح العطار ما قد أفسد الدهر الغشوم".
٣. نازك الملائكة: اعتمدت على الاختزال اللغوي النحوي من خلال استخدام الضمائر (مثل ضمير المتكلم، المخاطب، والغائب) لتكثيف المعنى واختصار الأسماء. كما استخدمت الاختزال في صيغ التثنية والجمع، حيث تقوم هذه الصيغ مقام العطف والاختصار. بالإضافة إلى ذلك، وظفت صيغة المبني للمجهول القائمة على حذف الفاعل كما في قولها "مُنحوا" للدلالة على معنى معين.
٤. تكامل العوامل: يؤكد الاختزال اللغوي على حقيقة أن العوامل الداخلية والخارجية للغة تتكامل في إطار اللسانيات الاجتماعية.

الهوامش

- (١) الكتاب: ٢٩٦/١.
- (٢) ينظر: تاج العروس: ٤٠٦/٢٨ مادة: (خزل).
- (٣) الكتاب: ٢١٣/١ و ٢١٩.
- (٤) المصدر نفسه: ٣١٧/١.
- (٥) ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: ١٧٩٢/٢.
- (٦) تهذيب اللغة: ٩٤/٧، مادة: (خزل).
- (٧) ينظر: تاج العروس: ٤٠٦/٢٨. مادة: (خزل).
- (٨) البرهان في علوم القرآن: ١٣٤/٣.
- (٩) ينظر: النكت في إعجاز القرآن: ٧٦، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٨٠/١.
- (١٠) ينظر: مقاربات سوسيولسانية: ٢٧٠، ومقالات في تحليل الخطاب، حمادي حمود: ١٦٦-١٦٧.
- (١١) الكتاب، سيبويه: ١٣٠/٢، وشرح ابن عقيل: ١٥٩/١، والبرهان في علوم القرآن: ١٠٥/٣، ومغني اللبيب: ٨٥٣.
- (١٢) الأعمال الشعرية الكاملة بدر شاكر السياب: ٢٥٣/١.

- (١٣) ينظر: تاريخ أحكام الأراضي في العراق، خليل إبراهيم الخالد ومحمد مهدي الأزري: ٦.
- (١٤) تاج العرس: ٤٦٧/٣. مادة: (غرب).
- (١٥) الأعمال الشعرية الكاملة بدر شاكر السياب: ١٢٢/٢.
- (١٦) الأعمال الشعرية الكاملة بدر شاكر السياب: ٢٣/٢.
- (١٧) مختصر القصة: أن قابيل وهابيل من أولاد آدم (عليه السلام) كانت منافستهما على أخت قابيل على أخت قابيل التي ولدت معه في بطن وكانت جميلة فطلب هابيل أن يتزوجها وقال له قابيل أنا أتزوجها فقال له هابيل أن تحل لك قال له قابيل أقرب معك قربانا فمن أكلت النار قربانه تزوجها فقربا فأكلت النار قربان هابيل فبقى قربان قابيل فحسد هابيل عليها ونفز عليه فقتله. ينظر: التيجان في ملوك حمير: ٢٣، وتاريخ اليعقوبي: ١.
- (١٨) ينظر: نوري السعيد رجل الدولة والإنسان، عصمت السعيد: ٩١.
- (١٩) الأعمال الشعرية الكاملة بدر شاكر السياب: ٢٤/٢.
- (٢٠) ينظر: مقاربات سوسولسانية: ٢٧٨.
- (٢١) ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية: ٢٢.
- (٢٢) تُعد النظرية التوليدية من أبرز النظريات اللغوية في ميدان البحث اللغوي، إذ تحتل مكانة فريدة في علم اللغة المعاصر، فقد أحدثت ثورة في الدراسة العلمية للغة، وأحدثت سطوة منقطعة النظير في حقل الدراسات اللغوية الحديثة، قال جون ليونز: "إنّ نظرية تشومسكي النحوية تُعد بلا شك أكثر النظريات اللغوية حيوية وتأثيرًا بحيث لا يستطيع أي عالم لغوي يريد أن يساير التطور المعاصر في علم اللغة أن يتجاهل وجود هذه النظرية". نظرية تشومسكي اللغوية، جونز ليونز: ٢٩.
- (٢٣) ينظر: تعليم النحو بين النظرية والتطبيق، تمام حسان: ١١٧.
- (٢٤) المنهج الوصفي عند سيبويه: ٢٩٣، وينظر: دلائل الإعجاز: ١١٧.
- (٢٥) ينظر: ينظر: الأبعاد التداولية في شروح التلخيص للقرويني، صابر الحباشة: ١١١.
- (٢٦) في البنية والدلالة، سعد أبو الرضا: ١١٠.
- (٢٧) سيميائية الخطاب الشعري في ديوان (مقام البوح) للشاعر عبد الله العشي: الدكتور شادية شقروش: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط١، الأردن، ٢٠١٠م: ٢٥.
- (٢٨) عبد الوهاب البياتي الأعمال الشعرية: ١٣٤.
- (٢٩) ينظر: قصيدة سوق القرية: دراسة في ضوء نظرية الأدب نظرية الإنعكاس أنموذجًا، م.م جواد هادي حسين الفضلي: ٤٣٧.

- (٣٠) ينظر: أدب التوقيعات حتى نهاية العصر العباسي دراسة في ضوء اللسانيات الاجتماعية، الباحث: أسامة محمود جاسم محمد: ٩٦.
- (٣١) جمهرة الأمثال: ٧/١.
- (٣٢) الاتقان في علوم القرآن: ٤٥/٤.
- (٣٣) عبد الوهاب البياتي الأعمال الشعرية: ١٣٤-١٣٥.
- (٣٤) ينظر: ديوان الإمام الشافعي: ١١١.
- (٣٥) ينظر: شرح مقامات الحريري: ١٩/٣، والمستطرف في كل فن مستطرف: ٣٨.
- (٣٦) شرح شذور الذهب: ٥١٧/٢.
- (٣٧) ينظر: تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين: ٣٥٤/١.
- (٣٨) صحيح البخاري: ١٣٣/٤، رقم الحديث: ٣٣٣٦.
- (٣٩) شرح التسهيل: ١٢٠/١، وتوضيح المقاصد والمسالك: ٣٥٩/١.
- (٤٠) ينظر: ارتشاف الضرب: ٩١١/٢.
- (٤١) نازك الملائكة الأعمال الشعرية الكاملة: ١٥١/٢.
- (٤٢) الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، محمد فتوح أحمد: ٢٧٣/٢.
- (٤٣) نازك الملائكة الأعمال الشعرية الكاملة: ٥٨/١.
- (٤٤) المصدر نفسه: ١٠٧/١.
- (٤٥) نازك الملائكة الأعمال الشعرية الكاملة: ٩٦/١.
- (٤٦) نازك الملائكة الأعمال الشعرية الكاملة: ٩٦/١.
- (٤٧) ينظر: أمالي ابن الحاجب: ٢٢/١.
- (٤٨) ينظر: اللحة في شرح الملح: ٣١٦/١.
- (٤٩) شرح المفصل: ٧١-٦٩/٧، وشرح ألفية ابن مالك المسمى (تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة): ٢٦٦/١.
- (٥٠) نازك الملائكة الأعمال الشعرية الكاملة: ١٥٧/١.

المصادر

القرآن الكريم

١. سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، (١٩٨٨): الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط١، القاهرة.

٢. ابن الأثير، ضياء الدين، نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة.
٣. ابن الحاجب، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، (١٩٨٩): أمالي ابن الحاجب، دراسة وتحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة، دار عمار، الأردن، دار الجيل، بيروت.
٤. ابن الصائغ، محمد بن حسن بن سباع بن أبي بكر الجذامي، أبو عبد الله، شمس الدين، (٢٠٠٤): الملحة في شرح الملحة، تح: إبراهيم ابن سالم الصاعدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية - المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية ، ط١.
٥. ابن الوردي، زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر، (٢٠٠٨): شرح ألفية ابن مالك المسمى (تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة)، تح: الدكتور عبد الله بن علي الشلال، ط١، مكتبة الرشد، الرياض - المملكة العربية السعودية.
٦. ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري، (١٩٨٠): شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث-القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، ط٢٠.
٧. ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، شرح شذور الذهب، تح: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع - سوريا.
٨. ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، (١٩٨٥): مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المحقق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، ط٦، دمشق.
٩. ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، (٢٠٠١): شرح المفصل للزمخشري، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان.
١٠. أبو الرضا، سعد، (١٩٨٧): في البنية والدلالة رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية، منشأة المعارف.

١١. أبو الفتح، شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبيشي، (١٤١٩هـ): المستطرف في كل فن مستطرف، ط١، عالم الكتب، بيروت.
١٢. أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان أثير الدين الأندلسي، (١٩٩٨): ارتشاف الضرب من لسان العرب تح: رجب عثمان محمد، ط١، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
١٣. أحمد، نوزاد حسن (١٩٩٦): المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، دار الكتب الوطنية، ط١، بنغازي.
١٤. الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد، (٢٠٠١): تهذيب اللغة تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١.
١٥. الأعمال الشعرية الكاملة بدر شاكر السياب، دار العودة، بيروت، لبنان، ٢٠١٢م.
١٦. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، (١٤٢٢هـ): صحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١.
١٧. جاسم، أسامه محمد (٢٠٢٣): أدب التوقيعات حتى نهاية العصر العباسي دراسة في ضوء اللسانيات الاجتماعية، إشراف أ. د. نعمة دهش الطائي، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية.
١٨. الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، (١٩٩٢): دلائل الإعجاز في علم المعاني، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني، القاهرة، ط٣، دار المدني بجدة.
١٩. جون ليونز، (١٩٨٥): نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة وتعليق، دكتور حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، ط١، الإسكندرية.
٢٠. الجياني، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي، (١٩٩٠): شرح التسهيل الفوائد، تح: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، ط١، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.
٢١. الحباشة، صابر، (٢٠٠٣): الأبعاد التداولية في شروح التلخيص للقرويني، ط١، الدار المتوسطة للنشر، تونس.

٢٢. حسان، تمام، (١٩٧٦): تعليم النحو بين لنظرية والتطبيق، مجلة المناهل يصدرها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط - المغرب، العدد السابع، السنة الثانية.
٢٣. حسان، تمام، (٢٠٠٠): اللغة بين المعيارية والوصفية، مؤلفات الأستاذ الدكتور تمام حسان، عالم الكتب، ط٤، القاهرة.
٢٤. حمود، حمادي، (٢٠٠٨): مقالات في تحليل الخطاب، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات بجامعة منوبة.
٢٥. الحميري، نشوان بن سعيد، (١٩٩٩): شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تح: د. حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د. يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، ط١.
٢٦. الخالد، خليل إبراهيم ومحمد مهدي الأرزى، (١٩٩٩): تاريخ أحكام الأراضي في العراق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٧. الرمانى، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن، (١٩٧٦): النكت في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، ط٣، دار المعارف بمصر.
٢٨. الزبيدي، محيي الدين أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي، (١٩٦٥): تاج العروس من جواهر القاموس، مكتبة الهداية، الكويت، ب.ط.
٢٩. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، (١٩٥٧): البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط١.
٣٠. السعيد، عصمت، (١٩٩٢)، نوري السعيد رجل الدولة والإنسان، مكتبة مبرة عصام السعيد، لندن.
٣١. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (١٩٨٧): الإتيقان في علوم القرآن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
٣٢. الشافعي، أبو عبد الله بن إدريس، (١٩٨٥)، ديوان الشافعي، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، ط٢، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر.

٣٣. الشُّريشي، أبو عباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القَيْسي، (٢٠٠٦): شرح مقامات الحريري، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
٣٤. شقروش، شادية، (٢٠١٠): سيميائية الخطاب الشعري في ديوان (مقام البوح) للشاعر عبد الله العشي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط١، الأردن.
٣٥. شيخو، لويس، (٢٠١٥): تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين.
٣٦. الطائي، نعمة دهش، (٢٠١٩): مقاربات سوسiolسانية، ط١، الدار المنهجية.
٣٧. عبد الوهاب البياتي الأعمال الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.
٣٨. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، جمهرة الأمثال، دار الفكر، بيروت.
٣٩. فتوح، محمد، (١٩٨٤): الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ط٣، دار المعارف، مصر.
٤٠. الفضلي، جواد هادي حسين، (٢٠١٩): قصيدة سوق القرية: دراسة في ضوء نظرية الأدب نظرية الإنعكاس أنموذجاً، مجلة ذي قار، مج٩، ع٢٤.
٤١. المرادي، بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي أبي محمّد المصري المالكي، (٢٠٠٨): توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر - دار الفكر العربي، ط١.
٤٢. المعافري، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، (١٣٤٧هـ): التيجان في ملوك حمير، تح: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، ط١، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء - الجمهورية العربية اليمنية.
٤٣. نازك الملائكة الأعمال الشعرية الكاملة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٢٣م.
٤٤. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، (٢٠١٦): تاريخ اليعقوبي، مطبعة الغري.